# المبتعثون ... طموح التنمية والتقدم

ⓒ **أطياف للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ**
**فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر**
الصفار، حسن موسى
المبتعثون طموح التنمية والتقدم / حسن موسى الصفار ـ القطيف، ١٤٣١هـ
٤٨ ص؛ ٥,٢١ × ٥,١٤سم
ردمك: ٣ـ٢ـ٩٠٠٤٢ـ٦٠٣ـ٩٧٨
١ـ البعثات الدراسية ٢ـ المنح الدراسية ـ السعودية
٣. الطلاب السعوديون ـ الأحوال الاجتماعية أ.العنوان
ديوي ٣٧٨,٣٥ ٨٨٨٨/ ١٤٣١
رقم الإيداع: ٨٨٨٨/ ١٤٣١
ردمك: ٣ـ٢ـ٩٠٠٤٢ـ٦٠٣ـ٩٧٨



**الطبعة الأولى**
**١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م**



**أطياف للنشر والتوزيع**
هاتف / فاكس: ٨٥٤٩٥٤٥ (٣) ٩٦٦ +
جوال: ٠٥٠٥٨٦٨٧٧١ - ٩٦٦ +
القطيف - شارع القدس
ص.ب ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١
المملكة العربية السعودية
E-mail : atyaf-pd@hotmail.com

# المبتعثون...

## طموح التنمية والتقدم

حسن بن موسى الصفار



الحمد لله ربّ العالمين. اللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

# المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

لن تتحقق التنمية في بلد إلا إذا كانت الهَمَّ الأول لحكامه ومواطنيه، يلتزم بأولويتها القرار السياسي، ويدفع باتجاهها التوجيه الثقافي والإعلامي، ويؤهل لخططها المنهج التعليمي، وتتفاعل مع برامجها التنشئة الاجتماعية.

إن معظم المواطنين في العالم العربي يتأوهون ويتحسرون لتخلف بلادهم، ويتمنون تجاوز ذلك الحال، والالتحاق بركب التقدم، لكن الحسرات والأمنيات لا تغيّر ذرة من واقع الحال، يقول تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾[سورة النجم: الآية ٢٤].

كما ترفع كثير من الحكومات شعارات التغيير والتطوير، وتضع خططاً

للتنمية والإصلاح، لكنها تبقى في الغالب حبراً على ورق، تستثمر للدعاية والإعلام، وتكون غطاءً للفساد والنهب.

وحين يشق برنامج تنموي طريقه إلى ساحة التنفيذ فإن ضعف تفاعل المواطن، وانخفاض مستوى فاعليته، يعوّق نجاح ذلك البرنامج، ويؤدي به إلى الفشل والإخفاق.

إن مسؤولية التنمية والنهوض تقع على عاتق كل فرد من أبناء الأمة، كلٌّ حسب موقعه وقدرته وإمكانه، فهي واجب عيني وليست واجباً كفائياً يسقط بقيام فئة به عن الجميع؛ لأن طبيعة واجب التنمية لا يتحقق أداؤها إلا بمشاركة عامة.

ولا شك أن تنمية الموارد البشرية، بتأهيل الإنسان وبناء كفاءته، تأتي في صدارة أي مشروع للتنمية والنهوض.

فالتنمية، وخاصة في هذا العصر، تستلزم كسب المعرفة، وبناء القدرات، وتحصيل الخبرة والتجربة، والتزام السلوك الحضاري في العمل والتعامل.

من هنا فإن الواجب الديني والوطني يقتضي دعم أي برنامج ومشروع يستهدف تنمية الموارد البشرية في المجتمع.

ويأتي في طليعة هذه البرامج والمشاريع، برنامج ابتعاث الطلاب إلى الجامعات في الدول المتقدمة، حيث تتاح لهم الفرصة لتلقي العلم والمعرفة، واستفادة الخبرة والتجربة، والاطلاع على الأساليب المتقدمة في إدارة شؤون الحياة، ومعايشة القيم الإيجابية للتحضر والتمدن.

وقد اعتمدت مختلف الدول والمجتمعات المعاصرة هذا البرنامج في مسيرة نهضتها للتقدم والرقي، كاليابان وكوريا الجنوبية وسنغافورة وغيرها، ولم تستغن عنه حتى الدول المتقدمة للاستفادة من بعض الإيجابيات والتخصصات في بلدان أخرى.

لكن مدى نجاح هذا البرنامج في أي بلد يتوقف على درجة الاهتمام به، والتخطيط الأمثل له، ومستوى التفاعل معه.

فعلى المستوى الرسمي لا يصح أن تغفل حكومة تهتم بالتنمية عن هذا التوجه، بل لا بد من رصد أعلى ميزانية ممكنة لهذا البرنامج، فهو من أفضل ما تصرف فيه ثروة البلد؛ لأنه استثمار ناجح مضمون، يعود على الوطن بأفضل المكاسب والعوائد.

لكن الإنفاق على هذا البرنامج يجب أن يقترن بخطة وإستراتيجية مدروسة، في اختيار الجامعات، والتوجيه للتخصصات، وإتاحة الفرص المتكافئة للطامحين من أبناء الشعب وفق مقاييس وضوابط موضوعية.

كما يحتاج البرنامج إلى صرف جهد في تأهيل الطلاب قبل ابتعاثهم، لتكون لهم معرفة أولية بطبيعة البلد والمجتمع الذي يهاجرون إليه، واطلاع عام على واقع الأنظمة والقوانين التي سيحتكون بها، في إطار الجامعة وأنظمة الإقامة في تلك البلاد، إضافة إلى التأهيل الثقافي والأخلاقي الذي يساعدهم على التكيّف مع الظروف والأجواء الجديدة التي تستقبلهم.

ويحتاج إنجاح البرنامج أيضاً إلى متابعة جادة من قبل وزارة التعليم العالي وملحقياتها الثقافية، بتفقد أوضاع المبتعثين، وتوفير احتياجاتهم، ومساعدتهم على مواجهة ما يعترضهم من المشاكل والعقبات، وتشجيع

المتميزين والطامحين منهم لمواصلة الدراسات العليا في تخصصاتهم.

ثم لا بد من خطة لاستيعاب المتخرجين من المبتعثين، ليقطف الوطن ثمار ما زرعه برنامج الابتعاث، بتوفير فرص العمل لهم في مجال تخصصاتهم، ولتضخ بهم دماء جديدة في أجهزة الدولة ومؤسساتها، ويتاح لهم مجال العطاء، واستثمار كفاءتهم، وتفعيل ما كسبوه من خبرة ومعرفة في خدمة التنمية والبناء لبلادهم، وتطوير مجتمعهم.

مما يشكل حافزاً لبقية المبتعثين للجد والاجتهاد، حين يجدون أمامهم مستقبلاً واعداً مشرقاً. كما يمنع ذلك من تسرب الكفاءات الوطنية وهجرة العقول إلى البلدان الأخرى، حيث تعاني من هذه المشكلة كثير من بلدان العالم الثالث، بسبب عجز أنظمتها وقوانينها عن جذب واستيعاب الكفاءات الوطنية، بل قد تكون طاردة لهم.

وعلى الصعيد الأهلي، فإن للمجتمع دوراً كبيراً في إنجاح برنامج الابتعاث، بتحفيز الأبناء للالتحاق به، وتبني الأسر الثرّية لابتعاث أبنائها، وإنشاء مؤسسات أهلية تتبنى ابتعاث الطلاب المتفوقين، ومبادرة القطاع الخاص لتوفير المنح الدراسية، والاهتمام بالتواصل مع الأبناء المبتعثين من قبل العوائل واللجان الأهلية التي تعنى بهذا الشأن.

ويبقى العنصر الأساس في إنجاح برنامج الابتعاث، وهو وعي المبتعث بالفرصة المتاحة له، وجديته في استثمارها، بالاجتهاد في دراسته، والاستفادة القصوى من وقته وجهده في تحصيل العلم والخبرة، وصقل الشخصية، وكسب أنماط السلوك الإيجابي من تلك البيئة المتقدمة.

ولأن التوجيه والإرشاد الديني له أثر بالغ في مجتمعاتنا، فإن بإمكانه

أن يقوم بدور كبير في إنجاح برنامج الابتعاث، بتوعية المجتمع وتشجيعه، من خلال بث قيم الدين الداعية إلى طلب العلم والمعرفة، والمحفّزة على كسب الخبرة والتجربة من أي بيئة كانت، وأن يسعى العلماء والدعاة لتوفير الإرشاد والتوجيه للطلاب المبتعثين، بما يساعدهم على التكيّف مع أوضاع المجتمعات التي يهاجرون إليها، مع الحفاظ على قيم الدين وأحكام الشريعة.

وقد وفقني الله تعالى للحديث حول هذا الموضوع في عدد من المحاضرات واللقاءات، كما أتيحت لي فرصة زيارة مجاميع من الطلاب المبتعثين في مدن مختلفة من الولايات الأمريكية المتحدة استمرت لمدة ثلاثة أسابيع من تاريخ ٢٢/ ٥/ ١٤٣١هـ الموافق ٦/ ٥/ ٢٠١٠م إلى ١٤/ ٦/ ١٤٣١هـ الموافق ٢٨/ ٥/ ٢٠١٠م.

ووجدت تفاعلاً وحسن تجاوب مع الأفكار المطروحة، مما شجع على إعداد بعض تلك المحاضرات للطبع والنشر، فكان هذا الكتيب الماثل بين أيدي القراء الكرام، الذي أقدمه رسالة تقدير وتشجيع لأعزائي المبتعثين والمبتعثات، ولكل من يعمل مخلصاً من أجل إنجاح هذا البرنامج الوطني الطموح، من مسؤولين وموظفين ومتطوعين.

أرجو أن يكون نشره مساهمة في توجيه اهتمام أكثر نحو برنامج الابتعاث، وأن يزيد في درجة الجدّية والاجتهاد لدى أبنائنا المبتعثين والمبتعثات.

أسأل الله تعالى لهم التوفيق والنجاح في مشوار هجرتهم لطلب العلم، وأن يكونوا خير سفراء لدينهم ومجتمعهم ووطنهم، وأن تتحقق على

أيديهم آمال التنمية وطموحات التقدم في البلاد. إنه تعالى ولي التوفيق والحمد لله ربّ العالمين.

**حسن بن موسى الصفار**
**٧ شوال ١٤٣١هـ**
**١٦ سبتمبر ٢٠١٠م**

# المبتعثون.. طموح التنمية والتقدم

محاضرة ألقيت في مجلس الشيخ محمد صالح المبارك بالقطيف، ١٢ محرم ١٤٣٠هـ.

ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم»[1].

## الهجرة للعلم ظاهرة إنسانية عالمية

الإنسان حين يدرك أهمية العلم وقيمته فإنه يفتش عنه في كل مكان، على المستوى الفردي، وعلى مستوى الأمم والمجتمعات، وقد شاءت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون العلم مبثوثًا في مختلف المجتمعات، والشرائح الإنسانية، لأن العلم منتج للعقل والإدراك، وقد منح الله تعالى الإنسان هذه القدرة في مختلف أعراقه وقومياته ومجتمعاته وأوطانه، لذا قد يكون هناك علم في بلد لا يتوفر في بلد آخر، أو يكون في مستوى أعمق وأرفع.

كذلك فإن دورة الحضارة في التاريخ البشري تتنقل من مكان إلى آخر، تكون الحضارة عند أمة من الأمم في مستوى متقدم، لكن أمة أخرى قد

(١) الهندي: علاء الدين بن علي المتقي، كنز العمال ج١٠ ص١٣٨ حديث٢٨٦٩٧، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠٥هـ ببيروت - لبنان.

تتفوق عليها فيما بعد، وهذه طبيعة الحياة وسنتها، يقول تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٤٠].

هناك حضارات كانت سائدة لكنها بادت أو تراجعت بعد تقدمها، وبرزت حضارات جديدة في تاريخ البشر، من هنا فإن أبناء البشر يستفيدون من بعضهم بعضًا، حينما يتجهون إلى قيمة العلم والمعرفة، لذا نجد أن رسول الله ﷺ يوجّه المسلمين في ذلك الوقت قائلاً: «اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم».

الصين وهي المكان البعيد جدًّا عن الجزيرة العربية، يأمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يطلبوا العلم ولو بالهجرة إليه، وواضح أن المقصود ليس العلم الديني؛ لأن العلم الديني مصدره ومنبعه في المدينة عند رسول الله ﷺ، ولكنه العلم بمعناه الشامل الواسع، فإن «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، وهذا هو ما يفتي به علماء المسلمين، أن كل علم يحتاجه المسلمون في حياتهم فطلبه أيضًا واجب على الأمة، كما أن طلب العلوم الشرعية والسعي للاجتهاد فيها، واجب على المجتمع والأمة، كذلك العلوم الأخرى التي تحتاج إليها الأمة، وتحتاج إليها المجتمعات الإسلامية، بنفس الدرجة أيضًا هي واجب كفائي، إذا قام به البعض سقط عن الكل، وإلا فالجميع مطالبون بذلك كما يقرر الفقهاء.

## بعثات الغربيين إلى الشرق

وقد كان أبناء الغربيين والمجتمعات الأخرى يأتون لطلب العلم في بلاد المسلمين، يوم كان لواء الحضارة بيد المسلمين، كانوا يأتون للدراسة

في قرطبة في جامعة القيروان، وفي بغداد ودمشق والكوفة والبصرة، من مختلف أنحاء العالم يدرسون في بلاد المسلمين، كما هو مسجّل في كتب التاريخ عن فضل الحضارة العربية الإسلامية، على تقدم العلوم في الغرب، حيث أشار باحثون ومستشرقون غربيون إلى أنهم كانوا يفخرون بالدراسة في بلاد العرب والمسلمين، كما نفخر الآن بالدراسة في بلادهم، فهذا تخرج من جامعة هارفارد في أمريكا، وذلك من جامعة أكسفورد في بريطانيا.

كان التحاق أبناء علية القوم في أوروبا بالمعاهد العربية الإسلامية أمراً مألوفاً في تلك العصور، وممن تلقوا العلوم في هذه المعاهد الملك الفونسو السادس، وفريد ريك الثاني الذي أصبح إمبراطوراً لروما سنة ١٢١٥م.

وجاء في ترجمة سلفستر الثاني (٩٤٠ - ١٠٠٣م) البابا الذي تم انتخابه عام ٩٩٩م، حيث اعتبر أول بابا فرنسي في تاريخ الكنيسة، واشتهر بذكاء غير عادي في حياته، وكان من أبرز فلاسفة وعلماء الرياضيات في عصره. هذا الرجل رحل إلى إسبانيا وهو في السابعة والعشرين من عمره ودرس في المعاهد العربية في قرطبة وقطلونيا، وشغف بالعلوم العربية الإسلامية المزدهرة آنذاك، ويعود إليه الفضل في نقل الأرقام العربية إلى أوروبا التي كانت في ذلك الوقت من بين أهم الإنجازات والمقدمات الرئيسة للعلم في القرون الوسطى الأوربية.

كما تنسب إليه بعض المصادر أيضاً إدخال الإسطرلاب إلى أوروبا[1].

(١) الموسوعة العربية العالمية، ج ١٣، ص ٥٩، ط ٢، ١٤١٩هـ الرياض - السعودية.

جاء في كتاب «الحضارة الأوروبية سياسية واجتماعية وثقافية» لمؤلفيه أساتذة الفلسفة جيمس وستفال توسون وفرانكلين شارلز بام وفان لو ستراند: «في خلال قرنين نقل إلى العربية كل ما خلفه الإغريق من التراث العلمي على التقريب. وأصبحت بغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة مراكز لامعة لدراسة العلم وتلقينه... وأخذت المعرفة بهذه الثقافة الإغريقية العربية تتسرب إلى أوروبا الغربية في أواخر القرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر.

ولم يكن تسربها من أثر الغزوات الصليبية كما يسبق إلى الخاطر، ولكنه جاء عن طريق صقلية إلى إيطاليا، ومن إسبانيا المحمدية إلى إسبانيا المسيحية ثم إلى فرنسا. وتسابق الرجال من ذوي العقول اليقظة إلى بلارمة وطليطلة لتعلم اللغة العربية ودراسة العلوم العربية، والعجيب أن معظم هؤلاء الرجال كانوا من الإنجليز»[١].

## حركة الابتعاث العلمي

ولانتشار مراكز العلم والمعرفة في العالم فإن هناك هجرة متبادلة لطلاب العلم بين الدول المتقدمة، وحسب إحصائية اليونيسكو سنة ٢٠٠٥م يوجد في العالم ما يقرب من ثلاثة ملايين طالب يدرسون خارج أوطانهم في مختلف بلدان العالم، حتى البلدان المتقدمة في بعض المجالات، أبناؤها يذهبون للدراسة في بلدان أخرى توازيها في التقدم، أو قد تقل عنها بشكل عام، لكنها تمتاز بتخصص معين، أو ميزات مشجعة.

(١) العقاد: عباس محمود/ أثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار نهضة مصر، قاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٤١.

فالولايات المتحدة الأمريكية، وهي أقوى دولة في المجال العلمي والتكنولوجي، تستقطب ثلثي الطلاب الأجانب على مستوى العالم، لكن أمريكا نفسها لها ٤٦ألف طالب يدرسون خارج أمريكا.

واليابان، هذه الدولة المتقدمة التي تضم ٥٠٠٠ جامعة و٦٠٠٠ كلية، مع ذلك فإن ٦٥ ألف ياباني يدرسون خارج اليابان.

الصين، هذا العملاق الاقتصادي الكبير الذي يتوقع له مستقبل ضخم على مستوى العالم، فإن أكبر عدد طلاب يدرسون في الخارج هم من الصينيين، حيث ذكر تقرير لليونسكو عن الحراك الطلابي نشر عام ٢٠٠٩م أفاد أن الصين تقدمت الدول من حيث الابتعاث بـ ٤٢١ ألف طالب وطالبة، يليها الهند بـ ١٥٣٣٠٠ طالب وطالبة، ثم كوريا الجنوبية بـ ١٠٥٣٠٠ طالب وطالبة[١].

## فوائد أخرى للابتعاث

إن مختلف الأمم والمجتمعات التي تسعى لكسب المعرفة والعلم، تبعث أبناءها إلى المناطق التي تتوافر فيها المعارف والكفاءات، كما أن الهجرة في طلب العلم فائدتها لا تنحصر في تحصيل العلم، وإنما هي إضافة إلى ذلك وسيلة للتبادل الثقافي والحضاري، ومدّ جسور التواصل بين الحضارات والمجتمعات.

فالطلاب الذين يدرسون خارج بلادهم، ينقلون شيئًا من ثقافة بلادهم إلى تلك المجتمعات، ويأخذون من ثقافة البلدان التي يدرسون فيها

(١) عكاظ، ٣٠ مايو ٢٠١٠م.

إلى بلدانهم ومجتمعاتهم، مما يشكل جسرًا للتواصل الثقافي، والتبادل الحضاري بين المجتمعات.

وفيها ميزة إضافية لصالح الطالب نفسه، حيث يتحدث الباحثون والخبراء أن من يدرس خارج وطنه ومجتمعه، يتوفر على ميزات معينة على المستوى الشخصي والعلمي، تتمثل في صقل شخصيته ونفسيته، إذ أنه حينما يعيش في مجتمع آخر، فإنه يعتمد على نفسه وذاته، ويواجه نمطاً جديداً في الحياة، وأجواءً لم تكن مألوفة بالنسبة له، كما أنه يكون أكثر تفرغًا وتوجهًا. لأن الإنسان حينما يدرس في منطقته ومجتمعه تكثر انشغالاته الاجتماعية والعائلية، فتأخذ شيئًا من وقته وجهده واهتماماته، بينما في الخارج يكون متفرغًا أكثر من الناحية النفسية، ومن ناحية الوقت، لدراسته ولاهتمامه الدراسي، وهذا شيء مجرّب معروف.

إن الطالب إذا كان جادًّا في دراسته، فإنه يستفيد من وجوده في الخارج من كل وقته وجهده، بينما إذا كان يدرس في منطقته فإن الانشغالات الاجتماعية المختلفة تأخذ من وقته وجهده، وخاصة في مجتمعاتنا التي تكثر فيها الأعراف والتقاليد، وتكثر فيها المناسبات، فإن الطالب يصرف بعض وقته وجهده في هذه الأمور الاجتماعية، وإذا أردنا أن نقرب الصورة أكثر فإن أبناءنا الذين يدرسون في داخل الوطن، لكن في مناطق أخرى، كونهم في منطقة بعيدة عن مجتمعهم يفرّغهم أكثر للدراسة كما هو المفروض، أما إذا كانت دراسة الطالب في وسط مجتمعه فإن عليه أن يتواصل في المناسبات القائمة، كالزواج والعزاء مثلاً خاصة إذا كانت من الأقرباء.

## المبالغة في المناسبات الاجتماعية

في بعض المجتمعات مآتم العزاء يصرف عليها وقت محدود، مثلًا في إيران والعراق ولبنان وسوريا، عادةً ما تكون مجالس العزاء في المساء لمدة ساعتين تقريباً، أما في مجتمعنا فهي تستغرق عشر ساعات على الأقل، في الصباح والعصر والليل، حيث نواجه صعوبة في ترشيد بعض العادات والتقاليد، مثل أن تصبح مجالس العزاء عصرًا وليلًا بدل الصباح والعصر، وهي ليست مهمة صعبة، ولا تحتاج سنين حتى نقتنع بها، ولا تحتاج بحوثاً واستفتاءات حتى نطبقها، إنها نوع من العادة أو العرف، سابقًا لم يكن لأكثر الناس التزامات وظيفية، أما الآن فالناس أغلبهم موظفون ولهم التزامات، حضور مجالس العزاء في الصباح يكون على حساب التزاماتهم، خاصة أهل العزاء والقريبون منهم.

وكذلك الحال هناك شيء من المبالغة في المناسبات الدينية، وأجد هنا فرصة لكي أتحدث عن هذه النقطة، مع الأسف الشديد في مجتمعنا أيام المناسبات الدينية يحدث فيها الكثير من التسيب من قبل الطلاب، فلا يذهبون إلى مدارسهم، هناك بعض الناس في مجتمعنا يشجعون هذه الحالة، على اعتبار أنه نوع من إحياء الشعائر وتأكيد الهوية الخاصة للمجتمع، ومع الاحترام والتقدير لوجهة النظر هذه، إلا أنني أخالفهم بأن التساهل في الأمر إلى هذا المستوى، ليس في مصلحة أبنائنا وطلابنا، حتى في المجتمعات الشيعية الأخرى كإيران ولبنان والعراق أيام التعطيل عندهم للمناسبات الدينية محدودة، وليس كل مناسبة وعلى اختلاف الروايات فيها، ثم إن هؤلاء الطلاب إذا لم يذهبوا إلى المدرسة هل سيذهبون إلى مجالس إحياء المناسبات؟ كلا، إنهم في الغالب يبقون في البيوت أو الشوارع، فلماذا

نضيّع هذه الأوقات على أبنائنا؟

أئمتنا عليهم السلام يسرون أكثر حينما يجتهد أبناؤنا في دراستهم، ويتفوقون فيها، ومع الأسف الشديد فإن بعض المعلمين، يشجعون هذه الحالة من التسيب، حتى يرتاحوا من التدريس، وهذا خطأ كبير، وخلاف تحمل المسؤولية. وقد أشرنا لهذه القضية استطراداً ضمن سياق مزاحمة الأعراف والالتزامات الاجتماعية للتفرغ العلمي الدراسي، وأن الطالب المغترب غير معني بهذه الالتزامات، مما يجعله أكثر تفرغاً لدراسته، وذلك من ميزات الاغتراب والهجرة لطلب العلم.

## بالكفاءات تبنى الأوطان

كيف يُبنى أي وطن من الأوطان، وخاصة في هذا العصر؟

المال والثروة وحدها لا تبني الوطن، الإمكانات الطبيعية المتوفرة لا تبني الوطن، التنمية والبناء يحتاج إلى الكفاءة، خاصة وأن مسيرة التطور العلمي والتكنولوجي والصناعي في العالم تسير بسرعة مذهلة، وتحتاج إلى متابعة وملاحقة، أي أمة وأي شعب يتأخر عن مسيرة العلم والتطور سيبقى غارقًا في تخلفه وفقره.

بلادنا ـ والحمد لله ـ فيها ثروات، وفيها عنصر بشري، وإمكانات طبيعية، وما تحتاج إليه بلداننا هي الكفاءة في مختلف المجالات، في الطب، والهندسة والإدارة والتقنية والعلوم المختلفة.

على المستوى الطبي مثلاً تشير إحصائية إلى أن نسبة السعودة في المجال الطبي في السعودية لا تتجاوز ١٦٪ وهي نسبة منخفضة جدًّا، في

الماضي كان جذب الكفاءات أمرًا ميسورًا، أما الآن فقد أصبح صعباً، في الماضي كان يذهب شخص أو بعثة من قبل وزارة الصحة أو المستشفيات الخاصة إلى الخارج لجذب عدد من الأطباء، والكفاءات الطبية، وبالفعل يحصلون على ما يريدون من الكفاءات الممتازة، ويأتون بها، أما حالياً ليس من السهولة الحصول على كفاءات من الخارج؛ لأن الكفاءات على مستوى العالم أصبحت مطلوبة، كما أن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في بلادنا لم تعد مغرية، ولأن البلدان الأخرى تنافسنا في تقديم الامتيازات والإغراءات لهذه الكفاءات، فلماذا يأتون إلينا؟

إننا نعيش فقرًا وحاجة ملحة للكفاءات والقدرات والطاقات، وإذا لم نسرع ونحث الخطى لردم هذه الهوة، فإن وضعنا سيصبح أصعب وأسوأ يومًا بعد آخر، وسنة بعد أخرى، حتى لو بنينا مستشفىً ضخماً واشترينا أفضل المعدات والأجهزة الطبية، لكن العلاج لا يتوفر ولا يتحقق بالمبنى الضخم وبالمعدات الجيدة، وإنما يحتاج إلى الكفاءة والخبرة والمعرفة، والأجهزة المتطورة تحتاج إلى من يحسن استعمالها وصيانتها، وواضح جدًّا كيف أن بلادنا قد أصبحت ميدانًا لكسب الخبرة من قبل أبناء الشعوب والمجتمعات الأخرى، يأتون من مختلف البلدان بلا خبرة ولا تجربة، ويعملون في مختلف المجالات الفنية والعملية، فيكسبون الخبرة من عملهم، ونحن ندفع الثمن؛ لأن هذا العامل الذي يأتي للعمل في أي مجال من المجالات، وهو لا خبرة ولا تجربة له، حتى يتوفر على الخبرة والتجربة، كم من الأخطاء والخسائر ندفعها نحن؟

مثلًا في المجال الميكانيكي، بعض من يأتي لتصليح السيارات وليست له خبرة وتجربة، أو تحصل فقط على الشهادة النظرية، فيتعلم

الجانب العملي على حسابنا ونتحمل أخطاءه، وبعد مدة من الزمن حين يكسب الخبرة والتجربة، فإن بلداناً أخرى تنافسنا عليه. وقرأت تقريرًا أنه في المجال الطبي، بعض الأطباء في مجال تخرجهم من بلدان أخرى، يأتون إلى بلادنا بقصد أن يحصلوا على شهادة خبرة، وممارسة العمل، ثم يذهب ليستفيد منها في دول متقدمة، هكذا أصبحنا مسرحًا للتجارب، ولتحصيل الخبرات، لماذا لا نبني طاقتنا وكفاءتنا؟ لماذا لا نكسب نحن الخبرة والتجربة؟ المجتمعات الأخرى التي كانت تعيش تخلفًا سلكت هذا الطريق، فاليابان استطاعت أن تبني نهضتها، جلبت القدرات، وبعثت أبناءها لكسب الخبرة، وأسرار التكنولوجيا من الدول الأخرى.

ومن التجارب المعاصرة الناجحة، تجربة كوريا الجنوبية، وهي بلد فقير في موارده المالية والطبيعية، وكان واحداً من أفقر ثلاث دول في آسيا إلى منتصف القرن الماضي، لكن كوريا الآن أصبحت ثالث أقوى اقتصاد في آسيا بعد اليابان والصين، صادراتها الصناعية تقدر بـ (بليون دولار) يومياً من السيارات والآلات حسب إحصائية سنة ٢٠٠٥م، الذين كتبوا عن تجربة كوريا الجنوبية قالوا إن سر نهضتها وتقدمها يعود لعوامل مختلفة، لكن بالدرجة الأساس استفادوا من بعث أبنائهم للخارج، وهؤلاء الذين ذهبوا للخارج وعادوا، نقلوا المعرفة والعلم والتكنولوجيا إلى بلادهم، وأصبحت كوريا في هذا المستوى، من هنا لا بد أن نهتم أكثر ببناء الكفاءات، وإلا فإن بلادنا ستبقى في هذا الوضع المتخلف، وسنة بعد أخرى سنشعر بالتخلف أكثر.

ومن أفضل طرق بناء الكفاءات الاستفادة من أجواء التقدم العلمي والتكنولوجي في المجتمعات الأخرى، ولا يكفي أن تكون عندنا جامعات

في بلداننا، لأن مستوى الجامعات في بلداننا لا يزال متأخرًا عن مستوى الجامعات في العالم المتقدم، كما أن المسألة ليست مستوى الجامعات فقط، وإنما البيئة بشكل عام، إذا عاش الطالب في بيئة متقدمة فإنه يكسب من أجوائها بشكل أفضل، مما يصقل كفاءته، ويمنحه الخبرة والتجربة، إننا بحاجة إلى أكبر عدد من الجامعات في بلادنا، وأن يتطور مستوى هذه الجامعات، في الوقت ذاته لا غنى لنا عن الاستفادة من أجواء التقدم والرقي في الجامعات الأجنبية بابتعاث أبنائنا إليها.

## إنجاح برنامج الابتعاث

المستوى الذي عليه الابتعاث من بلادنا إلى الخارج، يعتبر منخفضاً وضئيلاً قياسًا بالدول الأخرى، هناك مقياس عالمي يقيسون به عدد المبتعثين الذين يدرسون في الخارج، إلى مجموع طلاب التعليم العالي، هونغ كونغ مثلًا، نسبة المبتعثين من طلابها٢٢٪ قياساً إلى عدد طلاب الدراسات العليا، المملكة المغربية نسبة المبتعثين فيها ١٤٪.

ونسبة المبتعثين في البحرين وقطر والكويت ١٣٪ حسب إحصائيات سنة ٢٠٠٥م.

أما بالنسبة للمملكة العربية السعودية فإن نسبة المبتعثين إلى الخارج ١،٦٪، ومع البرنامج الجديد للابتعاث تصل إلى ٣٪، وهي نسبة منخفضة جدًّا، البلد في حاجة إلى عدد أكبر من المبتعثين، وليس عندنا عجز مالي ـ والحمد لله ـ بلدنا فيها موارد مالية وثروة كبيرة، وأفضل استثمار للثروة الموجودة في البلد هي في بناء الإنسان وكسب العلم والمعرفة، وقد ذكر

أحد الباحثين أن برنامج الابتعاث في المملكة قائم على أساس كل سنة ٥٠٠٠ طالب، وهذه النسبة لا تكفي للتنمية في هذا البلد يجب أن تضاعف عشر مرات على الأقل، يعني أننا نحتاج في كل سنة لـ ٥٠٠٠٠ طالب يبتعث وليس ٥٠٠٠ طالب، إذا بعثنا ٥٠٠٠٠ طالب يدرسون في الخارج، تصل النسبة إلى ٢٠٪، أي نسبة المبتعثين إلى طلاب مرحلة التعليم العالي، ومع الوضع التنموي الذي نعيشه وحاجتنا إلى إسراع الخطى، فنحن بحاجة إلى توسعة هذا البرنامج، وزيادة رقعة المبتعثين.

(إن ابتعاث ١٠٠ ألف طالب خلال عشر سنوات سيعطينا ١٠ آلاف خريج سنوياً، وهو رقم متواضع قياساً بتجارب أخرى، ولعل قراءة تجربة كوريا الجنوبية تكشف لنا أهمية الأرقام، إذ استطاعت كوريا أن تحافظ على وجود ١٠٠ ألف طالب سنوياً في الجامعات الأمريكية وعلى مدى عشر سنوات، وحصلت في نهاية المشروع على مليون خريج من أهم الجامعات الأمريكية)[١].

والمجتمع أيضًا يجب أن يدرك قيمة الاستثمار في العلم، وأهمية الابتعاث إلى الخارج، وأن يكون له دور، أي رب عائلة يجب أن يعرف أن مصلحته ومصلحة ذريته، ليس في بناء العمارات والعقارات، حتى إذا مات يخلف لأبنائه وأسرته أراضي وعمارات، وأسهم في البنوك والشركات، بل الأهم لأبنائه ولمجتمعه هو الاستثمار في العلم، إن بعض العوائل بالرغم مما تمتلكه من الخير والثروة لا تبادر إلى ابتعاث أبنائها.

بينما يتحدث الاعلامي الأستاذ جمال خاشقجي عن حضوره

(١) جريدة الحياة، ٤ مايو ٢٠١٠م، داود الشريان، أرقام المبتعثين لا تكفي.

لحفل أقامته منظمة الطلبة العرب بالجامعة العريقة (**MIT**) في بوسطن الأمريكية، لتكريم الطلاب النابغين العرب في حقلي العلوم والتقنية من الجامعة، وكان من بينهم طالب فلسطيني وهو الدكتور هشام كساب، الذي حصل على الدكتوراه في الهندسة الكهربائية، وأسس شركة، وأصبح استشارياً في البنك الدولي، وسجل اختراعاً باسمه، وألف عشرة كتب وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره، وفي كلمته تحدث عن والدته التي رعته عن بعد بدعائها، وعن والده الذي لم يمنعه فقر مخيم فلسطيني عاش فيه من تعليم ابنه أفضل تعليم، وإرساله إلى أفضل جامعة في العالم[١].

## دور المجتمع

وعلى المستوى الاجتماعي العام، فإن قوة المجتمع في قوة كفاءاته، وإنما يحترم المجتمع بمقدار ما لديه من طاقات وكفاءات، علينا أن نشجع أبناءنا على كسب الكفاءة، وأن نبذل قدراتنا وإمكانياتنا من أجل أن يكسب أبناؤنا الكفاءة العلمية.

هل يصعب علينا في مجتمعنا أن نرصد مبلغاً من المال من أجل أن نشجع أبناءنا على الدراسة، وكسب المعرفة والكفاءة في الخارج، إما منحة أو قرضاً؟

في منطقة قريبة وهي مملكة البحرين، أنشأت مؤسسة مجموعة الحاج حسن العالي مكتباً للمنح الدراسية للابتعاث على حسابهم لأبناء مجتمعهم، هذا البرنامج مضى عليه عشر سنوات من سنة ١٩٩٨م، ابتعثوا

(١) جمال أحمد خاشقجي/ قصه نجاح عربي في بوسطن الأمريكية/ جريدة الوطن، ٢٥/ ٤/ ٢٠٠٦م.

حوالي ٥٠٠٠ طالب وطالبة على نفقتهم، أو بقروض ميسّرة بدون فوائد، بين طلاب يدرسون دراسة جامعية كاملة، وطلاب يذهبون إلى دورة للتدريب من ستة أشهر فما فوق، هذه المؤسسة ميزانيتها السنوية للصرف على هذا البرنامج ١٠٠٠٠٠ دينار بحريني، أي مليون ريال سعودي.

أليس مؤلماً أن بعض الطلاب وهم يدرسون داخل البلد، في بعض الجامعات أو المؤسسات الأهلية، يحتاج إلى تسديد قسط دراسته، وقد لا يجد من يساعده أو من يقرضه.

من ناحية أخرى، علينا أن نهتم بأبنائنا المبتعثين في الخارج، العوائل يجب أن تتابع هؤلاء الأبناء، لتشجيعهم وتفقد أحوالهم، وينبغي أن ننشئ مؤسسة أو لجنة تهتم بمتابعة شؤون هؤلاء الطلاب، نبعث لهم مرشدين، فيهتم بأوضاع الطلاب في كل منطقة أحد العلماء والموجهين، يقوم بزيارتهم، ويتفقد أمورهم، ويتواصل معهم.

إن جولة أي عالم لتفقد أوضاع الطلاب المبتعثين قد لا تكلف أكثر من مصرف مأتم أو مجلس من المجالس الكثيرة في بلادنا.

## إلى طلابنا المبتعثين

النقطة الأخيرة ترتبط بطلابنا المبتعثين، نتخاطب معهم: يا أبناءنا الأعزاء وأنتم في الخارج، وضمن هذا البرنامج، عليكم أن تعرفوا مدى الآمال المعلقة عليكم، أنتم تصرفون من أموال بلدكم، من ثروات شعبكم، وعلى حساب عواطف أهاليكم، فالذي يفارق أهله وأسرته ليس أمرًا هينًا عليهم.

## الاجتهاد في الدراسة

**أولاً**: عليكم أن تجدِّوا وتجتهدوا في دراستكم، إن بعض طلابنا في الخارج يعتبر الابتعاث وكأنه رحلة وفرصة للنزهة، أن يرى بلداً آخر، ويرتاح، لا يحمل همًّا كافيًّا للاجتهاد في دراسته، وفيما توجّه من أجله، وبذلك يفوّت على نفسه فرصة عظيمة، ويخيّب آمال مجتمعه ووطنه.

## الالتزام بالقيم

**ثانيًا**: الالتزام بالقيم الدينية والأخلاقية، الطالب الذي يذهب إلى مجتمع، يعيش وضعًا غير الوضع الذي كان يعيش فيه، تحصل له صدمة ثقافية، يرى الأجواء مفتوحة أمامه، قسم من الطلاب والمبتعثين ينهارون أمام هذه الصدمة، يفقدون التزامهم الديني والأخلاقي، لدينا طلاب نفخر بالتزامهم وبدينهم وأخلاقهم، ولكن هناك حالات سلبية لا ينبغي أن نسكت عنها، فبعض من يذهبون إلى هناك يتناسون القيم والالتزامات الشرعية، وربما كانت هذه النقطة إحدى المبررات للتوقف والتردد عن بعث الأبناء إلى الخارج من قبل بعض الأوساط الدينية، ولكن هذا ليس مبررًا صحيحًا، لأن الفساد ما عادت له جغرافيا، من تكون نفسه مهيأة، ومن لا تكون تربيته بالمستوى المطلوب، من يخضع لإغراءات الشيطان، حتى وهو في بلده، وبين أهله، يمكن أن يطاله الفساد، صحيح أن الأجواء هناك مفتوحة، لكن ثبت بالتجربة أن الإنسان حينما يتوفر على تربية صالحة، ووعي وثقافة وتوجيه، فإنه في تلك المناطق يستثير تحديه في الالتزام بالقيم والمبادئ، يشعر بالتحدي أكثر، يحس بقيمة الدين والأخلاق في تلك المجتمعات أكثر، وأعرف أشخاصاً وطلاباً يوم كانوا يعيشون في

البلد كان اهتمامهم الديني عادياً، وحينما ذهبوا إلى هناك ارتفعت عندهم درجة الالتزام، ومستوى الالتزام، أصبحت له لذة وقيمة، لأنه تحدٍّ، وليس استجابة للمألوف، والتقاليد والأعراف.

## كسب الإيجابيات

**ثالثاً**: الاستفادة من إيجابيات تلك المجتمعات، المسألة لا تقتصر على الدراسة فقط، تلك المجتمعات متقدمة ومتحضرة، فيها جوانب من الإيجابيات، وهناك سلبيات بسبب الاختلاف بيننا وبينهم في الثقافة والقيم، ولكن لا يصح لنا أن تتضخم في أذهاننا السلبيات، ونتناسى الإيجابيات.

في تلك المجتمعات، هناك إيجابيات كبيرة، مثل الجدية في الحياة، الدقة في المواعيد، الاهتمام بالدراسة والعمل، الصدق والصراحة، بعض طلابنا حينما يذهبون إلى هناك يصطدم الآخرون بهم؛ لأنهم ليسوا في مستوى هذه القيم الحضارية، تعوّد على عدم الدقة، يُسأل عن شيء معين فيجيب جواباً، وتختلف إجابته لنفس السؤال مرة ثانية، فيرصدونه ويأخذون عنه فكرة أنه ليس صادقًا.

في تلك المجتمعات هناك صدق وصراحة، وانضباط، على طلابنا وطالباتنا أن يستفيدوا من هذه الإيجابيات، إن بعض المبتعثين بدل أن يستفيد من الجوانب الإيجابية يأخذ بالجوانب السلبية، كالانحراف والانحلال والمفاسد الأخلاقية، يذهب بهذا الاتجاه، أرأيتم كيف أن النحل يبحث عن الفواكه والثمار! ويمتص منها، أما الذباب يبحث عن الأوساخ، كل إنسان يبحث عن الأشياء حسب وعيه، ومستواه النفسي،

نحن نريد أبناءنا الذين يذهبون إلى الخارج أن يكونوا نحلاً يمتصون الرحيق من الأزهار والورود والثمار، ويصقلون بها شخصياتهم، ويعودون بها لمصلحة أوطانهم ومجتمعاتهم.

كل مجتمع له عاداته وأعرافه، وينبغي أن نستفيد من العادات الإيجابية في تلك المجتمعات، وأن نتلافى العادات السلبية، حينما يلتقي الناس من مجتمعات مختلفة فإنهم ينظرون إلى تلك المجتمعات من خلال من يلتقون بهم، ولذلك فأبناؤنا وبناتنا هناك هم رسل لأمتهم ووطنهم ومجتمعهم، العالم ينظر إليهم، ومن خلالهم ينظر إلينا، فعليهم أن يقدموا صورة مشرقة، وألا يشوهوا هذه الصورة، ببعض التصرفات، بتساهلهم وتسيبهم الدراسي، أو بعدم انضباطهم الأخلاقي، فيكوّنون صورة مشوهة لأمتهم، وللدين الذي ينتمون إليه، قال الإمام الصادق عليه السلام فيما روي عنه: «إنكم قد نسبتم إلينا كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً»[1].

## التلاحم والتعاون بين الطلاب

وفيما يرتبط بالعلاقة بين الطلاب أنفسهم، عليهم أن يدعموا بعضهم بعضاً، وأن يتعاونوا، ويتركوا الخلافات والفروقات الموجودة في بلداننا ومجتمعاتنا، لأسباب مذهبية أو مناطقية أو مرجعية وثقافية، يفترض في أبنائنا وبناتنا هناك أن يتجاوزوا هذه الحالات، وأن ينفتحوا على بعضهم، وأن يستفيدوا من تجاربهم، ويتداولوا التجارب، ويرفعوا معنويات بعضهم بعضاً، وأوجّه الخطاب بالخصوص إلى أبنائنا الملتزمين دينيًّا، بأن يهتموا

---

(١) المجلسي: الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٥، ص ١٥١، ح ٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ.

بإرشاد بقية الطلاب والطالبات، لا يكفي أن يكون الإنسان ملتزمًا، وإنما يسعى بمقدار ما آتاه الله من معرفة ووعي، ومن قدرة لهداية الآخرين، والمساهمة في إصلاحهم وإرشادهم وتوجيههم، نسأل الله تعالى أن يوفق طلابنا وطالباتنا في الخارج، وأن ينجحهم في دراستهم، وأن يوفقهم للصمود والثبات على قيمهم وأخلاقهم ومبادئهم، وأن يعودوا لنا بحصيلة من العلم والخبرة والتجربة، تقرّ بها أعيننا، ويتقدم بها الوطن إن شاء الله.

# برنامج الابتعاث وتطلعات المجتمع

محاضرة ألقيت في منتدى حوار الحضارات في القطيف، بتاريخ ١٩ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ، الموافق ٢ يونيو ٢٠١٠م.

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «الحكمة ضالة المؤمن، فاطلبوها ولو عند المشرك، تكونوا أحق بها وأهلها»[1].

كلمة معبّرة وقيّمة، توجه الإنسان إلى أن يطلب الخير والصلاح في أمور حياته، من أي جهة كانت، فقد عرّف اللغويون الحكمة بأنها: من الإحكام، والاستحكام والمنع، أي منع الخلل والثغرات، وإحكام الأمر.

والمؤمن الحقيقي هو الذي يسعى لإحكام أمور حياته، كما يسعى لإحكام أمور آخرته، بل إن إحكام أمور الآخرة يكون عبر إحكام أمور الدنيا، يقول تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾[سورة البقرة: الآية٢٠١].

والحكمة في كل مجال تعني الإتقان فيه، والمقصود بها هنا الإتقان في تنظيم أمور الحياة، لأنه ليس ممكنًا أن يوجّه أئمة الإسلام إلى أخذ قضايا الدين من غير أهل الدين، فحينما يقول الإمام علي عليه السلام: «فاطلبوها ولو عند المشرك» فهذا يعني أن الحكمة المقصودة هنا هي المرتبطة بتنظيم شؤون الحياة، ومثلها الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «اطلبوا العلم

(١) بحار الأنوار ج٧٥ ص٣٤، مصدر سابق.

ولو في الصين»[١]، فإن الرسول ﷺ لا يقصد علوم الشريعة؛ لأن علوم الشريعة كانت تؤخذ منه، وتؤخذ من المرجعية الإسلامية، ولكن يقصد به علم الحياة، العلم الذي يمكّن الإنسان من تنظيم حياته بصورة أفضل، ويمكّنه من أن يحقق هدف وجوده في هذه الحياة، فإن الله إنما خلق الإنسان في هذه الحياة لكي يقوم بمهمة إعمار الأرض ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[سورة هود: الآية٦١] أي طلب منكم عمارة الأرض، وما ورد من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[سورة الذاريات: الآية ٥٦] لا ينافي هذا الهدف، بل هو توضيح له؛ لأن العبادة الحقيقية ليست الأعمال الشعائرية الطقوسية فقط، إنما تعني الالتزام بمنهج الله في مختلف جوانب الحياة، وفي طليعتها إعمار الأرض وإصلاحها، فقد سخّر الله تعالى الكون للإنسان، وأعطاه القدرة العقلية الهائلة، من أجل أن يعمّر الحياة، ويستفيد من ثروات الكون، والمسلمون هم الأولى بالتصدي لمهمة الإعمار والإصلاح في الأرض، وهم مطالبون بأن يجدّوا ويجتهدوا في تحصيل الحكمة التي تساعدهم على إنجاز هذه المهمة من أي مجتمع، ومن أي مكان، حتى وإن اختلفوا معه في الدين أو المذهب، لأن الحكمة ضالة المؤمن، والضالة هي الشيء المفقود الذي يبحث عنه الإنسان، والمسلم يجب أن يبحث عن إحكام أمور حياته، ولا يقبل لنفسه بأن يعيش حياة فيها ضعف أو خلل، عليه أن يسعى لإحكام أمور حياته، وإذا كانت هناك معارف تساعده على تنظيم أمور حياته، وكانت هذه المعارف في مجتمعات أخرى لا تدين بدينه، فعليه ألا يتردد في السعي نحو تلك المجتمعات، وأخذ تلك المعارف منها.

(١) كنز العمال ج١٠ ص١٣٨ حديث ٢٨٦٩٨، مصدر سابق.

وجاء في كلمة أخرى عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق»[1]. هذه هي الخلفية التي يجب أن تدفع المسلمين لكي يستفيدوا من تجارب الأمم الأخرى، والمعارف المتوفرة عندهم.

## الانفتاح على تجارب الأمم

في وقت من الأوقات كنا نحن الأمة الرائدة، التي تمتلك أزمّة الحضارة والتقدم في العالم، ولكن الأيام دول، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٤٠] لأسباب تتعلق بداخلنا، وتكالب الأعداء علينا، أصبحنا - وللأسف الشديد - في مجال علوم الدنيا في مؤخرة القافلة، وتقدمت الأمم الأخرى، فأفقنا على صدمة هائلة بسبب البون الشاسع بين ما وصل إليه الآخرون، وبين المكان الذي تسمرنا فيه كأمّة، الآخرون خاضوا عباب البحار، وغاصوا في أعماقها، وحلّقوا في آفاق الفضاء، وارتادوا الكواكب والمجرات، واستطاعوا أن يفجّروا طاقات الكون، ويسخروا العلم في مصلحة البشرية، لكننا دون أن نكون في حالة الجلد لذاتنا في التوصيف لواقعنا، نحن في مؤخرة الركب.

فأصبحنا أمام معادلة صحبة: أمة تعتز بعقيدتها ودينها، لكنها تعيش واقعًا متخلفًا على الصعيد العلمي، وعلى صعيد تنظيم شؤون الحياة، المجتمعات الأخرى وصلت إلى صيغ لتنظيم حياتها السياسية والاجتماعية، منحتها الاستقرار والأمن في داخلها، لكن مجتمعاتنا الإسلامية لا تزال تتلمس

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم، رقم ٨٠.

الطريق، لا تزال مسيرتها تتعثر، ولهذا نجد الحروب والفتن في أكثر من بلد وأكثر من مجتمع إسلامي، تلك المجتمعات الغربية وصلت إلى حالة من الاستقرار السياسي والاجتماعي، أما أغلب مجتمعاتنا العربية والإسلامية لا زالت تعاني من فقدان الاستقرار، وعدم استتباب السلم الداخلي بين مكونات عدد من مجتمعاتها وشعوبها، وهكذا في مختلف مجالات الحياة.

## ثلاثة خيارات

أمام هذه الصدمة كانت هناك ثلاثة خيارات:

هناك من أصيب بحالة انبهار بالشعوب والأمم الأخرى، ما داموا قد تقدموا وتفوقوا، فهذا يعني أن علينا أن نسير على نهجهم في كل شيء، مما يعني أن نتخلى عن ديننا وقيمنا، على اعتبار أن هذه القيم والعقيدة تتحمل مسؤولية التخلف الذي نعيشه.

وهناك خيار آخر هو خيار القطيعة والمناوأة، سلكته شريحة كبرى أو السواد الأعظم من الأمة، فما دام هؤلاء ليسوا على ديننا، فأي شيء يأتي من قبلهم مرفوض، سواء كان معرفة أو منهجية لتنظيم أمور الحياة، حيث نهينا عن التشبه بالكفار.

أما الخيار الثالث، فهو التواصل والتداخل الإيجابي مع الأمم المتقدمة، لسنا مخيرين بين الالتزام بديننا، أو الاستفادة من تجارب الآخرين، يمكننا الجمع بين الأمرين؛ لأن قيم ديننا الحقيقية لا تتنافى مع هذا التطور والتقدم العلمي، بل إنها تدفع إليه، إن علماء الغرب ومفكريهم يعترفون

بدور الحضارة الإسلامية في التأسيس لهذه الحضارة الحديثة، لو كانت قيم الدين مناوئة ومخالفة للتطور والتقدم، لما استطاع آباؤنا وأسلافنا المسلمون أن يكونوا في تلك المكانة الرائدة.

علينا أن نتأكد من فهمنا للدين، ولعل الدين كما يفهمه البعض الآن، يختلف عما فهمه الأسلاف الذين تقدموا، هذا الاختلاف في الفهم هو المسؤول عن هذه الهوة التي بيننا وبين ركب الحضارة، أسلافنا استخدموا عقولهم واجتهدوا في فهمهم، وواكبوا شؤون عصورهم، ولكننا حينما جمّدنا عقولنا، ووقفنا عند اجتهادات أسلافنا، لم نطوّر، ولم نبدع، هنا حصلت المفارقة، عصور التخلف التي عشناها أوجدت ركامًا من الفهم الخطأ للدين.

كيف نستطيع أن نحقق التواصل والتداخل الإيجابي مع الشعوب والأمم التي سبقتنا وتقدمت علينا في العلم، وتنظيم شؤون الحياة؟ كيف يمكن ذلك؟

بلادنا، ولخصوصيتها الدينية، كونها مهبط الوحي وأرض الحرمين الشريفين، هي في مقدمة الدول والمجتمعات التي وجدت نفسها على المحك، كيف تتعامل مع هذه المعادلة؟

وإذا كان هناك بعض القلائل ممن ذهبوا لسلوك طريق الانبهار بالآخرين فإن كثيرين أخذوا الخيار الآخر، وهو القطيعة مع الآخرين ومناوأتهم.

وسادت بعض الآراء الحادة والمتشددة، التي فهمت أن الدين يستلزم القطيعة مع الأخر والمناوأة له، هذه الآراء لو ترك لها المجال في بلادنا لقادت بلادنا إلى المآزق وأوقعتها في عزلة عظيمة.

إن برنامج الابتعاث، هذا البرنامج الوطني الطموح، مفردة من مفردات التواصل والتداخل الإيجابي مع الأمم والشعوب الأخرى، وإذا كان هناك من أفتى وتحدث ضد بعث الأبناء إلى الخارج، لأنهم سيفقدون دينهم وأخلاقهم، فإن هذا الرأي ينبعث من تلك المنظومة الفكرية، التي تتبنى خيار التشدد والقطيعة مع الآخر، إن من مصلحة بلادنا وشعبنا الانفتاح على شعوب العالم، والأمم الأخرى، ونراهن على ثقتنا بأنفسنا، وأن انفتاحنا على الآخرين، لن يؤثر على التزامنا بديننا، هذا ما نراهن عليه، ونرجو أن ننجح إن شاء الله في هذا الرهان، إذا تظافرت الجهود، واعتمدت البرامج المناسبة لتوعية أبنائنا المبتعثين ورعايتهم.

إن برنامج الابتعاث يطمح لتحقيق تطلعات كبيرة، من أبرزها:

**أولاً: بناء الكفاءات وكسب الخبرات**

فإن الدول الأخرى سبقتنا في هذا المجال، لديها جامعات عريقة، ومناهج علمية تربي على الإبداع والابتكار، وتشحذ الذهن، ولديها خبرات وتجارب، فلماذا لا نستفيد نحن من هذه الجامعات؟

برنامج الابتعاث يهدف إلى إتاحة الفرصة لنخبة من أبناء هذا الوطن، حتى يتربوا في أحضان تلك الجامعات العريقة في مختلف دول العالم، ليعودوا لنا بالكفاءة والخبرة التي تساعدنا على النهوض، وتوطين العلم والمعرفة في بلادنا، حتى نكون منتجين للعلم والمعرفة في المستقبل.

**ثانياً: الاستفادة من تجارب الشعوب**

الطالب الذي يذهب إلى أمريكا أو إلى استراليا أو إلى أي دولة من

الدول، سيطلع على الوضع السياسي والاجتماعي والثقافي، سيرى ماذا يجري في تلك الدول والمجتمعات، وهذا يتيح الفرصة لجيل من أبناء الوطن، أن ينفتحوا على تجارب الشعوب الأخرى، ويأخذوا الأشياء الإيجابية منها لنقلها إلى مجتمعاتهم.

في كثير من الأحيان نقف عند بعض الثغرات والحالات السلبية المرتبطة بالجوانب الدينية والأخلاقية في المجتمعات الأخرى، ولكنها نظرة محدودة ضيقة، الحياة هناك لا تتلخص في بعض المسائل التي لنا موقف ديني منها، كشرب خمر والسفور والانحراف الجنسي، النظر إلى تلك البلدان وكأنها تتلخص في هذه المفردات الجزئية نظرة محدودة ضيقة.

هناك مجتمعات راقية حيّة، تعج بالحركة والنشاط العلمي والعملي، استطاعت أن تصل إلى مناهج وصيغ في حياتها السياسية والاجتماعية، وفي التعامل الأخلاقي فيما بينهم.

نحن نفتخر بثروتنا الأخلاقية القيمية كمسلمين، ولكن عند المقارنة على صعيد الالتزام السلوكي نجد أن كثيراً من أخلاقيات التعامل والمعاشرة التي أكد عليها ديننا، نراها أقرب للتطبيق والتجسيد في تلك المجتمعات، وكما ينقل عن أحد أئمة المسلمين المعاصرين أنه حينما ذهب إلى الغرب قال: «رأيت الإسلام هناك ووجدت المسلمين هنا»، الكثير من قيم الإسلام تراها مجسدة في تعامل الناس هناك، لا نريد أن نرسم صورة مثالية عن تلك المجتمعات؛ لأنهم يعترفون بنقاط ضعفهم، وأنهم يعانون من ثغرات وخلل في بنيتهم الاجتماعية، لكن في كثير من الجوانب نجد أن سلوك

التعامل بين الناس هناك أفضل من كثير من المجتمعات الإسلامية، نجد كيف أن بلدًا مثل أمريكا كان يعاني من التفرقة العنصرية، ولكنهم استطاعوا بنضالهم الشعبي، وكفاحهم السياسي، أن يتغلبوا على التفرقة العنصرية إلى حدٍّ كبير، إلى أن أصبح رئيس البلاد منحدراً من أقلية ذات أصل أفريقي.

ذكر لي أحد المثقفين العراقيين المقيمين في أمريكا، قال: إنه بعد أن جاء إلى أمريكا، ودخلت ابنته الصغيرة في المدرسة، في يوم من الأيام جاءه اتصال هاتفي، فبادرت البنت الصغيرة ذات الستة أعوام لأخذ الهاتف، فكان هناك من يطلبه لكي يتكلم معه، نادت بأبيها فقال لها: ضمن المتعارف عند بعض الشرقيين، قولي له غير موجود، قالت البنت : كيف أقول له غير موجود وأنت موجود؟ قال لها: لا عليك، قولي له غير موجود بنبرة غضب، فتركت الطفلة الهاتف وقالت، خذ الهاتف وقل له إنك غير موجود، أما أنا فلا أقبل لنفسي أن أقول ذلك.

الصدق والأمانة والثقة والتسامح، تجد هذه القيم موجودة ورائجة هناك.

لا أريد أن أمجّد المجتمعات الأخرى، ولكننا أمرنا بالإنصاف، وأن نكون منصفين وعادلين في تقويم الآخرين، نمتدح الإيجابيات كما ندين السلبيات، يقول تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً﴾[سورة آل عمران: الآية٧٥].

وهذا لا يعني أنه لا توجد عندهم أخطاء، ولكن أريد أن أقول إن ابتعاث مجموعة من أبنائنا، ليعيشوا في تلك الأجواء والظروف المتقدمة سياسيًّا

واجتماعيًّا وثقافيًّا، يمكّن هذا الجيل من أن ينقل هذه القيم في جوانبها الإيجابية إلى مجتمعاتنا، وأن يكونوا رسلًا مبشرين بقيم التقدم والتحضر التي نحن أولى بها، كما يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: «اطلبوها ولو عند المشرك تكونوا أحق بها وأهلها».

وقد كتب الأستاذ عبد الرحمن البريدي مقالاً جميلاً تحت عنوان «إيجابيات الابتعاث» أقتطف منه الفقرة التالية:

هُناك العديد من المبتعثين بمجال الطب، الهندسة، العلوم، الإدارة... الخ. ومن خلال اختلاطهم بالمجتمع المحيط بهم من أطباء، مهندسين وباحثين بكافة درجاتهم كيف يُمكن اكتساب مهارات عدة منهم والتي تبدأ من مهارة معاملة الدكتور بالجامعة مع طلابه وكيف يزودهم بالمعلومة والنصح بدون تعالٍ أو كبرياء أو استخفاف أو احتقار لهم، وكيف يتعاملون مع قضايا الطلاب بكل اهتمام، وتجدهم في مكاتبهم يحرصون على وقت الطالب وكيف يجد تعامل العاملين بوجه عام بالجامعة مع الطالب ابتداء من الاستقبال، المكتبة، المعمل،...الخ؟

وكيف يتعامل الطبيب مع المرضى أو حتى حين زيارتهم للأطباء والاطلاع على كيفية التعامل معهم بكل إنسانية واهتمام وبتواضع وكيفية التزامهم بأعمالهم ومواعيدها وكيف يُمكن نقل ثقافة التعامل مع الطرف الآخر من هذه البلدان؟

نحنُ بحاجه لمن يحمل مع الشهادة الجامعية شهادات أخرى قد لا تُعلم في الجامعات ولكن يُمكن اكتسابها من خلال التعامل مع مجتمع عرف معنى الوقت، التزم بمواعيد عمله، تعامل مع الطرف الآخر بإنسانية،

قدم المساعدة لكل من هو بحاجه لها، كيف يستطيعون الاستفادة منهم في إدارة حياتهم اليومية في منازلهم، مقر أعمالهم، قيادة سياراتهم، الالتزام بأصول القيادة الصحيحة والسرعة المحددة، اتباع إرشادات المرور، عدم الوقوف في الأماكن المخصصة للمُعاقين كيف يمكن لنا اكتساب ذلك وعكسه على مجتمعنا؟

يُمكن للمبتعث التعلم من هؤلاء الأجانب كيف يتعاملون معنا منذ وصولنا إلى مطاراتهم، أسواقهم، مستشفياتهم، شوارعهم وحتى جيرانهم المحيطين بهم كيف يتعاملون معهم وكيف يُخططون لإجازة نهاية الأسبوع التي نقضيها في السهر والنوم وهم يقضونها في تنظيف منازلهم، وغسيل سياراتهم وتجميل وقص حدائقهم، إنهُ يُمكن للمبتعث الاستفادة من العديد من إيجابيات مَن حوله[1].

## ثالثًا: مد الجسور مع المجتمعات الأخرى

الأحداث التي حصلت في السنوات الأخيرة من ممارسات ومواقف متطرفة، كادت أن تقيم الحواجز، والجدران السميكة بيننا وبين بقية الأمم والشعوب، بحيث نبدو وكأننا أمة متوحشة، تعتمد الإرهاب منهجًا وفكرًا وسلوكًا، وهناك يمين مسيحي متطرف تحالف مع الصهيونية المعتدية على أراضينا وحقوقنا، فصنعوا إعلاماً مناوئاً للأمة وللإسلام، واستفادوا من مواقف التطرف وأعمال الإرهاب والعنف التي قام بها بعض المحسوبين على المسلمين للأسف الشديد، هذه الحالة أوشكت أن تعزل أمتنا عن العالم، وخاصة بلادنا أصبحت في موقف حرج، فكان لا بد من تحرك

(١) جريدة الوطن/ عبد الرحمن البريدي، إيجابيات الابتعاث، ١٩ نوفمبر ٢٠٠٧م.

إيجابي لمواجهة هذه الحالة، ومن المفردات المهمة برنامج الابتعاث، لأن وجود آلاف المبتعثين في البلدان المختلفة من أبناء هذا الشعب، كفيل بأن يصنع جسور التواصل، وأن يعطي الصورة الحقيقية عن هذا الشعب، كما يعطي شعبنا الصورة الحقيقية عن تلك الشعوب، ليس كل الأمريكيين والغربيين والآخرين أعداء لنا، هناك أعداء لنا، ولكن ليس الجميع، كما يريد البعض أن يصور ذلك، ويدعو في القنوت وفي الخطب على كل اليهود والنصارى والكفار بالفناء والهلاك واللعن والدمار، ليس الأمر كذلك، شبابنا سيكتشفون أن هناك مساحات كبيرة جدًّا في تلك الشعوب والمجتمعات تريد أن تتفهم واقعنا وتتعرف إلينا.

علينا أن نشرح حقيقة وضعنا للآخرين، وعليهم أن يعرفوا حقيقة وضعنا من خلالنا، وليس من الصور السلبية التي يروجها الإعلام الصهيوني واليمين المسيحي المتطرف، فوجود آلاف من أبنائنا هناك يعطينا مثل هذه الفرصة، وبحمد الله رأيت بعض طلابنا في أمريكا وهم ينشطون في علاقاتهم، ويتحدثون عن بلادهم، وعن دينهم ومجتمعهم، ويجدون تفاعلاً وتقبلاً مشجعاً من الآخرين.

**وفي الختام**: أتوجه إلى أبنائي وبناتي الطلاب والطالبات المتواجدين في أمريكا وفي مختلف البلدان، أن يعرفوا قيمة هذه الفرصة، إنهم يصرفون زهرة أعمارهم، ويجرحون عواطف آبائهم وعوائلهم بسبب الفراق والغربة، كل مبتعث أهله وعائلته يتألمون لاغترابه عنهم، وهم أيضا يستنزفون من ثروات هذا الوطن. فبرنامج الابتعاث مكلف، في السنة الماضية ٢٠٠٩م تشير الإحصائيات أن هذا المشروع كلف المملكة ٩ مليار ريال، وفي سنة ٢٠٠٨م بلغت نفقات برنامج الابتعاث ٧/ ٥ مليار ريال، ويستحق

هذا البرنامج مثل هذه الكلفة بشرط أن يستفيد أبناؤنا من هذه الفرصة، البعض يعتبرها فرصة للراحة والاستجمام، وهذا يجرم في حق نفسه ووطنه وعائلته التي تحملت آلام فراقه وغربته، على أبنائنا وبناتنا أن يعرفوا قيمة فرصة الابتعاث لهم، وأن يستفيدوا منها في كسب العلم والمعرفة، وفي الاطلاع على قيم الحياة الإيجابية التقدمية في تلك المجتمعات، وأن يعكسوا الصورة المشرقة لدينهم ولوطنهم ومجتمعهم حيثما حلّوا.

**وكلمة أخرى أوجهها للمجتمع**: هذا البرنامج ليس برنامجًا حكوميًا، تتحمل الحكومة وحدها مسؤوليته، إنه برنامج وطني، ينبغي أن نعمل جميعًا من أجل إنجاحه؛ لأن في نجاحه نجاحًا لنا كشعب ووطن، لذلك على الناس أن يتفاعلوا مع هذا البرنامج، أن يقوموا ببعض المبادرات، وأن لا يقتصر الابتعاث على البرنامج الحكومي، كل من استطاع أن يوفر فرصة لابتعاث أحدٍ من أبنائه لم يشمله البرنامج الرسمي، عليه أن لا يتردد في ذلك، فهذا هو الاستثمار الأفضل، في تعليم الأبناء، وتنمية القدرات البشرية، أن يقدم للوطن كفاءة من أبنائه المتعلمين، وعلى المجتمع أن يسعى للتواصل مع هؤلاء المبتعثين، نحن بحاجة إلى التواصل مع أبنائنا، وإذا كنا نخشى أن بعضهم قد يتسرب إليه الإهمال في دراسته، أو عدم الالتزام بأحكام الدين، فعلينا أن نسعى للوصول إليهم، وللتواصل معهم.

إن وجود برنامج لإرسال بعض العلماء والموجهين والناشطين الاجتماعيين بين فترة وأخرى، لكي يتفقدوا أوضاع الطلاب المبتعثين، أمر مفيد جداً، في مجتمعنا الكثير من البرامج الدينية، ونصرف عليها أموالاً طائلة، لو اقتطعنا جزءاً مما نصرف على البرامج الدينية في مجتمعاتنا، وخصصناها للصرف على مثل هذه البرامج، بأن نبعث علماء، وموجهين

يتجولون في المناطق والدول التي فيها مبتعثون ومبتعثات، فإن ذلك سيكون مفيدًا ومساعدًا، يرفع معنويات أبنائنا وبناتنا، ويشجعهم على ترسّم الطريق الأمثل.

# المحتويات

## عنوان المؤلف

المملكة العربية السعودية
المنطقة الشرقية
ص.ب: ١٣٢٢ القطيف ٣١٩١١
هاتف: ٨٥٥٥٢١٠ ٣ ٩٦٦ +
فاكس: ٨٥١٢٦٠٠ ٣ ٩٦٦ +
الموقع على الإنترنت: www.saffar.org
البريد الالكتروني: office@saffar.org